بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

من المكتبة إلى مركز التوثيق

كان سبيلنا إلى توارث خبرات ومعارف من سبقونا هو الحصول عليها مسجلة بشكل أو بآخر بحيث يسهل الوصول إليها ودرسها واستيعابها ، أو يسهل التقييم الناقد والفاحص لها : إما قبولاً ، أو رفضاً ، أو استمراراً ، أو إضافة .

وليس بوسع الإنسان أن يحيا وأن يفكر منقطعاً تماماً عن ماضيه ، وعما مرت به مئات من الأجيال من قبله ، أو منقطعاً عن حاضره ، وعما تمر به آلاف أو ملايين من البشر من حوله :

صادفت فعرفت ثم مارست فأتقنت
ثم سجلت فحفظت فأبقت .
ثم جربت فكشفت فطبقت .
ثم بحثت فابتكرت ، ثم نشرت
فعممت .

ومصادر المعلومات التى نعنيها فى هذا الكتاب هى سجلات المعرفة التى نستهدف نشرها أو نقلها أو تداولها ، وليس همنا هو أن نعالجها بوصفها شتاتاً لمفردات بل بوصفها تجمعات تنتظم فى نسق مدروس داخل مقرٍ يحتويها بهدف تيسيرها للانتفاع :

١ ــ ففى المكتبات قد نسميها « المقتنيات » أو « المجموعات » أو « الأوعية » أو « المواد » .

٢ ــ وفى دور الوثائق تستقر بوصفها سجلات الماضى ومحفوظاته .

٣ ــ وفى وسائل الإعلام نلقاها يوماً بيوم على شكل : صحف ودوريات منشورة ، أو إذاعة وتسجيلات صوتية ، أو مصورات ومرئيات ناطقة ومتحركة (أفلام سينما وعروض تليفزيون) .

والمكتبات (رغم تعدد أشكال ماتقتنيه ، ورغم تعدد أغراض الانتفاع به) لم تجمد أنماط العمل فيها على صورها التقليدية ، بل تطورت ونمت وحاولت أن تحمل من صور الإنتاج الفكرى ماأثقل كاهلها ــ ثم مالبثت أن انبثقت عنها فى عهود قريبة مؤسسات أخرى لتحمل عنها بعضاً من عبء جمع وحفظ وتحليل المعلومات ومصادر المعلومات : وعلى ذلك ظهرت مراكز التوثيق ، وبنوك المعلومات .

ثم تطور هذان النوعان من المؤسسات من حيث شمول التغطية ، ومن حيث عمق التحليل ومن حيث سرعة الأداء ، حتى بدأت أصوات كثيرة ترتفع محاولة تأكيد انقطاع الصلة بينهما وبين الكيان الأم وهو المكتبة . بمعنى أن الخلافات السريعة والكثيرة بين المكتبة ومركز التوثيق ، وبين المكتبة وبنك المعلومات بدأت تطغى على ما كان قد قيل من قبل من أن الفارق فى الدرجة فقط وليس فارقاً فى النوع .

وقد ساعدت الاستخدامات الآلية لاختزان المعلومات واسترجاعها على تأكيد هذا الاعتقاد من أن المكتبة شىء ــ وما تلاها فى الظهور من مراكز التوثيق وبنوك المعلومات شىء آخر .

ومع ذلك فنحن نرى أن الأساس هو المعلومات نفسها : وأن أوعية المعلومات أحق بالدراسة أولا ــ ثم تأتى بعد ذلك أنواع المعالجات التى تتعرض لها ــ ثم تتلو هذا كله أشكال المؤسسات التى تناولت الأوعية فاختزنت المعلومات لتقدمها عند الطلب لمن يريد .

ولست من جانبى على استعداد للتغاضى عن حقيقة مازالت قائمة ، وليس ثم مايدعو لإنكارها أو للإقلال من قيمتها ولا من احتمالات استمرارها للمستقبل وهى :

أن مواد تسجيل المعرفة وتناقلها والتعريف بها والإعلام عنها تستقر عادة داخل المكتبات ــ وهى تتنوع إلى حد بعيد جداً . ففى مكتبة بحث كبيرة لايقف الأمر عند حد الكتب أو الدوريات :

« وإنما تحتاج مكتبات البحث والمكتبات المتخصصة بجانب الكتب والنشرات الحديثة والقديمة إلى أنواع أخرى من « المواد المكتبية » أو « أوعية المعلومات » مثل : الدوريات والمجلات العلمية ، والحوليات ، والتقارير ، والتقاويم ، ومجلات الجمعيات ، ومجموعات أعمالها أو « إنجازاتها » – وكل هذه الأنواع من المسلسلات بكل اللغات .

وهناك المطبوعات الحكومية (سواء فى ذلك ماتصدره حكومة الدولة ، والحكومات الأجنبية ، والحكومات أو الإدارات المحلية بالأقاليم من محافظات وألوية ومجالس بلدية فى المدن ، سواء فى الداخل أو فى الخارج) .

وهناك الرسائل العلمية التى تصل من الجامعات فى الداخل أو فى الخارج ، والبحوث الكاشفة من محطات التجارب ومعاهد البحوث . وهناك الجرائد والصحف (الداخلية والخارجية) ، والخرائط ، والنصوص الموسيقية المطبوعة ، والمخطوطات والوريقات والنشرات السياحية المصورة غالباً ، والرسوم البيانية ، والقصاصات والإعلانات ، ونشرات الدعاية التجارية والعقائدية من كل نوع ، والمحفوظات والوثائق الخطية (مثل الخطابات ، وسجلات الضرائب ، والحسابات ، والبرقيات ، وتواريخ الأسرة والسجلات الصناعية أو الطبية .. الخ ، والمذكرات الشخصية واليوميات ، والرحلات) .

ثم مجموعات من المواد البصرية تتمثل فى الصور الفوتوغرافية ، والرسوم اليدوية ، ولوحات الفانوس السحرى ، والسينما و « الفيديوتيب » والأفلام الإخبارية والتسجيلية والتعليمية . ثم نجد نصوصاً يحتاج الاطلاع عليها إلى وسائل العرض والتكبير مثل الميكروفيلم والميكروفيش والميكروكارد والميكروبرنت .

ثم تأتى مجموعات من المواد المتحفية مثل لوحات الرسم ، والتماثيل والنماذج والمسكوكات ، والتصميمات المجسمة ، والطوابع وبطاقات البريد .

وهذا التجميع لأنواع المواد كما ذكرته هنا قد يبين مدى تشعب المجال واتساعه أمام أى مؤسسة بحث كبيرة . وبذلك نجد أن الحصول على هذه المواد كلها ، وحفظها (بصرف النظر عن تسجيلها وتنظيمها) يحتاج لمنظمة إدارية ضخمة .

ومن هذه المواد وغيرها سوف تبرز أمامنا أنواع تفرض طبيعتها المتجددة بل والمتلاحقة ــ تفرض الإعلام السريع عنها عن طريق التوثيق الدقيق بما يكفل التعريف

بها . والاستدلال عليها ، بل والحصول على أصولها أو على صور من أصولها أو على ترجمات لها من مراكز تجميع بعينها هى مراكز التوثيق التى نمت أصلا بوصفها توكيداً للتجميع الموضوعى الذى بدأته المكتبات ــ ولكن يمكن أن نقول : عجزت عن ملاحقة المكتبات باهتماماتها المتشعبة ، وإمكانياتها المحدودة ، وإجراءاتها التقليدية .

* * *

وسوف نجد أن عمليات التزويد بالمكتبة (أى العمليات التى تعنى باختيار ثم اجتلاب المواد المكتبية) تمثل المسئول الأول عن كل ماتستتبعه العمليات التالية من إنفاق في الوقت أو الجهد أو المال . فلو أن كتباً أو دوريات أو أوعية أخرى للمعلومات لم تقتن من بادىء الأمر فلن نحتاج فيما بعد إلى فهرستها أو اختزانها أو إعارتها أو ترميمها .. الخ . إذ كلما أضافت المكتبة إلى رصيدها مطبوعاً جديداً ، فمعنى ذلك إضافة التزام جديد بتحمل سلسلة من النفقات التى لاتنقطع طالما أن الكتاب يحيا بين جدرانها ــ ولعل أقل جزاء هذه السلسلة حجماً هو الثمن الأصلى للكتاب العادى . وعلى ذلك فالجهود الموجهة نحو تنظيم أى مكتبة وزيادة فاعليتها سوف يتحتم عليها أن تبدأ أولاً بمحاولة تنظيم التزويد .

ومن هنا تتأتى ضرورة تخطيط التزويد أى رسم سياسة خاصة بشراء الكتب والمطبوعات ينتج عنها اقتناء موجه وتنمية مدروسة للمجموعات . ذلك لأن عدم تحديدها وترك الشراء (وماقد يصحبه من تبادل أو هدايا) ليتم عشوائياً ينتج عنه نمو غير موجه للمجموعات وتكديس لايخدم بالضبط الأغراض المخصصة فى كل مكتبة أو مطالب قرائها فى نواح بالذات . وإن إثبات احتياجاتنا واتجاهاتنا في نص مكتوب يتسم بوضوح الرؤية لأهداف المستقبل ، ينتج عنه خطوات تنفيذية تتسم بنفس الوضوح .

١ ــ فمثلا يلزم التحليل المنظم الدائب للأجزاء الضعيفة من مجموعات الكتب والدوريات وأوعية المعلومات الأخرى بالمكتبة (نشرات ــ خرائط ــ رسائل وأطروحات ــ تسجيلات واسطوانات ــ مصورات ... الخ) – وذلك خلال مقارنة البيبليوجرافيات الحديثة أو الجارية بمحتويات المكتبة . ثم الاختيار بعد التشاور فيما بين أعضاء هيئة المكتبة – ، وفيما بينهم وبين الأخصّائيين أو الباحثين ــ . ثم ترتيب المختارات حسب الأهمية أو الأفضلية النسبية فيما بينها ،

حتى يمكن تحويل هذا كله عند الشراء إلى برنامج عمل تتضح فيه الأسبقيات وأولويات التنفيذ .

٢ ــ تسجيل نتائج دراسة وفحص المجموعات الحالية بالمكتبة فى تقرير شامل مع إلزام من يتصل بالتزويد من قريب أو بعيد بدراسته واستيعابه حتى يكون على علم كاف بحال المجموعات ــ ، مع ربط هذا كله ببيان ماتريده المكتبة لمجموعاتها مستقبلا : من حيث النوع والعدد والمستوى واللغات ــ ، ومع ربطه بنوعية القراء ومطالبهم ــ ، وربطه بما تملكه المكتبة من مال ، وما خصصت له « بنود » الميزانية ــ ، وربطه أيضاً بما هو متاح فى سوق المطبوعات للشراء ، أو فى دنيا النشر للتبادل أو للإهداء .

٣ ــ توفر كل وسائل الإعلام عن المطبوعات الجديدة . سواء فى قوائم ناشرين ، أو فى الإعلانات المنفصلة عن كتب فردية ، أو فى قوائم الصحف والمجلات عن الكتب الجديدة ، أو فى البيبليوجرافيات المتميزة التى تصدرها هيئات مكتبية أو هيئات تعليمية ، أو فى الإصدارات المتتابعة للبيبليوجرافيات الحصرية سواء قومية أو تجارية ، أو فى أدلة الدوريات ، أو فى كشافات الدوريات العامة ، أو فى كشافات قطاعية (أى متخصصة فى مجالات موضوعية بعينها) ، أو فى القوائم التى ترسلها الهيئات لما تنشره فتطرحه للتبادل ، أو لما تستغنى عنه فتطرحه أيضاً للتبادل ، أو فى بيبليوجرافيات خاصة لمواد خاصة مثل : المخطوطات : أو الأفلام ، أو الخرائط ، أو الميكروفيلم ، أو النشرات .

وسوف نتناول عند حديثنا عن المراجع البيبليوجرافية عدداً كافياً من هذه المصادر وذلك فى سياق بعض الفصول التالية من هذا الكتاب . وأود أن أبين أن عناية مراكز التوثيق بالذات تنصرف إلى أنواع من المواد أسرع من الكتب فيما تحمله من معلومات تعنى المتابعة بل والملاحقة لكل مايجد فى مجالاتها التخصصية . وليست الكتب هى أهم ولا أسرع مصدر للمعلومات من بين ماتعنى مراكز التوثيق باقتنائه أو باستيعابه بين مجموعاتها ــ . فالكتاب من حيث حداثة المعلومات فيه يتلو الدورية ولا يسبق الدورية ، لأنها تصدر على فترات قصيرة نسبياً إذا قارناها بالمدة التى يستغرقها عادة إصدار طبعة من كتاب . ولذلك فإن ماثبت واستقر من معلومات هو الذى يجد طريقه بعد ذلك لكى يتبلور بين دفتى

كتاب يقصده عادة الدارس قبل الباحث لأن الباحث له مصادره الأسرع فى ملاحقة المعلومات .

(أ) فهناك مقالات الدوريات المتخصصة التى قد توزع فى نفس الوقت على شكل مستلات أو فصلات reprints .

(ب) ولعل هناك ماهو أسرع من مقالات الدوريات : مثل تقارير المتابعة التى تصدر عن مراكز البحوث ومحطات التجارب ـــ ، ومثل النشرات عن الموضوعات التى لم تجد طريقها بعد إلى الدوريات التخصصية .

إذن فلتحرص كل من المكتبات المتخصصة ومراكز التوثيق على تعرف المصادر التى تحصل منها على هذه الأنواع من المواد . ولتحرص على الدراسة والتجريب لكل وسائل حفظ واستكمال مجموعات أى من هذه المواد . وأهم من ذلك كله فلتحرص على تحليل محتواها والتعريف به وهو مازال حديث الإصدار [1] .

---

(١) لأجل معرفة المصادر التى يمكن أن يحصل منها أمين المكتبة على الأنواع المختلفة للمواد المكتبية يمكن إحالة القارىء إلى أى طبعة من طبعات الكتاب التالى : أحمد أنور عمر : الإجراءات الفنية للمكتبات . القاهرة : دار النهضة العربية . الفصل الثانى : أنواع المواد المكتبية ومصادرها .